المتسترين الذين كان لهم دور رئيسي في خلع السلطان وتوجيه دفة الحكم فيما بعد[٨]. وسرعان ما ظهر الفتور في العلاقات بين العرب والاتراك بعدما «اتضح ان عناصر جمعية الاتحاد والترقي كانت تركية اولا ويهودية ثانيا، وان الاتجاه القومي الطوراني يقضي بسياسة 'التتريك' وطمس معالم اللغة العربية والشخصية العربية»[٩]. ونتيجة للسياسة التركية الجديدة، اخذ الشعور القومي العربي يتيقظ ويتبلور، ونشأ العديد من الجمعيات السرية والعلنية في بلاد الشام وخارجها، منها ما نادى بالاستقلال التام عن الاتراك مثل «العربية الفتاة» التي كانت في باريس، ومنها ما نادى بالاستقلال الاداري مثل «القحطانية» و«الاصلاح» و«اللامركزية» و«العهد». و«كانت اليقظة العربية الحديثة، ودعامتها النخبة العربية من المثقفين، تسعى جاهدة، بعد فترة، الى احياء فكري للحصول على حقوق العرب القومية داخل اطار الامبراطورية العثمانية، وبدت الصهيونية عدوا سوف يغتصب منهم، في المستقبل، ارضا عربية، ويشكل تهديدا خطيرا للفكرة العربية الناشئة»[١٠].

لقد كانت وجهة النظر العربية مجمعة على خطورة الهجرة الصهيونية الى فلسطين، لكنها كانت متباينة في تقدير حجم الخطر؛ فالفلاحون كانوا اكثر تخوفا من سواهم لان الهجرة الاستيطانية تعني اقتلاعهم وحرمانهم من العيش، اما المثقفون الذين اطلعوا على نوايا الحركة الصهيونية وادركوا خطورتها، فكانت خشيتهم كبيرة منها، واخذ الرأي العام يتجه لمعاداة النشاط الصهيوني. وكان لحضور جمهور غفير من الناس محاكمة الصحف المعارضة للحركة الصهيونية دلالة بالغة على هذا الاتجاه[١١].

الصحافة الفلسطينية في ظل دستور ١٩٠٨

افاد دستور ١٩٠٨ العرب من جراء اعطاء بعض الحريات النسبية. فلقد كان ذلك العام عام الصحافة الفلسطينية، اذ صدرت خلاله، في فلسطين، ثلاث عشرة جريدة كانت ابرزها «الاصمعي» لحنا العيسى، و«القدس» لجرجي حنانيا، و«الكرمل» لنجيب نصار[١٢]. ولقد لعبت الصحافة دورا مميزا في تنوير الرأي العام وتنبيهه الى المخاطر الجسيمة المترتبة على التغلغل الصهيوني في جسم «الاتحاديين»، حكام تركيا الجدد، والذي من شأنه ان يؤدي الى قيام كيان صهيوني على انقاض الوجود العربي في فلسطين. لكن ثورة الصحافة العربية على «الاتحاديين» والحركة الصهيونية قد دفعت اقطاب هذه الحركة الى اتباع سياسة مدروسة في مواجهة هذه الثورة، وذلك من خلال شراء بعض الصحف العربية لتقوم بدور تضليلي للرأي العام فتعمل على ذر الرماد في العيون. ومن هذه الصحف «المقطم» و«الاهرام» في القاهرة، و«لسان الحال» و «النصير» في بيروت، و«جراب الكردي» و«النفير» في فلسطين. كما جندت الحركة الصهيونية بعض الاقلام المأجورة للدفاع عنها والتقليل من مخاطرها وتبيان المنافع المادية التي ستعود على عرب فلسطين من جراء الهجرة اليهودية؛ كما عمدت هذه الحركة الى التقليل من اهمية العداء العربي للصهيونية فعزته «احيانا الى جهل لغة وعادات وطبائع العرب واحيانا الى عداء المسيحيين المتأثر بفكرة المعاداة للسامية ـ برأيهم ـ او الناتج عن التنافس الاقتصادي والثقافي»[١٣].

ومن سياسة الحركة الصهيونية التضليلية، المحاولات التي بذلت في الاوساط العربية «من اجل التقارب، بحجة المنفعة المتبادلة،وتقارب الشعبين والعمل، معا، لاحياء الشرق وما يمكن ان